الحدث في شعر السيد الحميري

د. سجا جاسم محمد
جامعة بغداد / كلية الآداب

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين.

ينماز الشعر بخصائص وتقنيات تعبيريه خاصة ، فهو أن كان يعتمد الوزن والقافية فانه ما انفك يستعير من السرد قسما من خصائصة ، ومن هذه الخصائص الحدث الذي يشكل ركيزة أساسية من عناصر السرد ، ولاسيما ان الشعراء غالباً ما يركزون على فلسفه الحدث أكثر من الحدث نفسه ، لذا عنوا بتصوير الحدث للمتلقي أكثر من نقله وإن كان يُبنى في الشعر على مشهد متضمن لمجموعه من اللقطات التي تعتمد الإيجاز والتكثيف ، وبسبب ضيق المساحة في النص الشعري .

ومن بين الشعراء الذين عنوا بتصوير الحدث ونقله للمتلقي الشاعر السيد الحميري (ت 173هـ) ، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا جزءاً من حياتهم في العصر الأموي ، والآخر في العصر العباسي ،وقد انماز شعره بالطابع القصصي ؛ لذا جاءت دراستي بعنوان (الحدث في شعر السيد الحميري) لدراسة الحدث في شعره ، إذ يُعد الحدث أحد عناصر السرد القصصي ، ولاسيما إن الحدث عنده قد توافر بأنواعه الثلاثة : الحدث البسيط والحدث التام والحدث المركب . فجاءت الدراسة موضحه لهذه الأنواع ، مبينة طريقة الشاعر في تناول الحدث وعرضه ، وأهم الوسائل والصور والأساليب التي استعملها الشاعر في عرض للحدث .

الحدث مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً ، تدور حول موضوع عام وتصور الشخصيّة وتكشف عن أبعادها ، وهي تعمل عملاً له معنى ، و تكشف عن صراعها مع الشخصيّات الأخرى [1]. ويشكل الحدث محوراً أساسياً ترتبط به عناصر العمل الأدبي ، ولاسيما الشخصيّات التي تعمل على تصوير الحدث ، إذْ إن هناك انسجاما فنيا بين الشخصيّة والحدث " فالكاتب عندما يهتم بالأحداث ، فإن الشخصيّات تسخر لتطوير الحوادث وتوليدها ، إذ ليس لها قيمة خاصة في ذاتها "[2] . ولا يشترط في الحدث أن يكون من وقائع الحياة اليومية ، فقد يستمد المبدع مادته في بناء الأحداث من كل ما

يقع تحت سمعه وبصره ، يساعده في ذلك قدرته في التقاط الظواهر وتصويرها ، ثم يعمد إلى ربطها بحياته أو حياة الآخرين [3] . وفي النص الشعري ينشغل الشاعر بفلسفة الحدث، فهو لا يهتم بالحدث بقدر اهتمامه بالطريقة التي يرسم ، ويصور ، ويخرج بها الحدث للمتلقي [4] . أمَّا طريقة عرضه لهذا الحدث فليس هناك طريقة محددة يتبعها المبدع لعرض أحداثه ، فقد يتبع أكثر من طريقة في ذلك ، ولاسيما ان الأحداث نفسها قد تختلف ، فضلا عن ذلك إن الحدث في العمل الروائي يختلف عن الحدث في العمل الشعري ، ففي العمل الروائي يعمد المؤلف إلى مد قاعدة الحدث بسبب اتساع المساحة في النص الروائي ، أمَّا الحدث الشعري فغالباً ما يبنى على مشهد متضمن لمجموعة لقطات ، إذ يعتمد الإيجاز والتكثيف بسبب ضيق المساحة في النص الشعري . ولاسيما ان الشعر هو " تعبير عن الأحاسيس الإنسانية وتوصيلها بلغة مكثفة موزونة "[5] . فلغة الشعر العاطفة ، وغاية التأثير والإيحاء بالمعنى ، على العكس من النثر الذي يتميز بلغة العقل ، لذلك يميل الشعر إلى التكثيف والتركيز ، والإيجاز والإيحاء . وفي ضوء ما تقدم اختلف الحدث باختلاف علاقته مع عناصر العمل ، فلكل حدث قالب خاص به يؤلف فيه ، ويأخذ سمات وصفات معينة ليظهر إلى المتلقي بهيأة وشكل وتركيب خاص يتناسب وطبيعة الفكرة التي يتضمنها . وفي ضوء دراستي لديوان الشاعر السيد الحميري [6] وجدت أن الحدث عنده يأخذ ثلاثة أشكال وهي كما يأتي :

أولاً : الحدث البسيط

وهو الحدث الذي يكون فيه عمل الشخصية وحركتها محدوداً بدلالته على الحادثة المسرودة [7] إذ نجد السيد الحميري لم يقف عنده طويلا متأملاً ومفصلاً ، بل لمح إليه بطريقة سريعة وبإشارة خاطفة من ذلك قوله[8] :

أتيناك يا قرم أهـــل العـــراق بخير كتاب من القائم
أتيناك من عندي حبر الأنام وذاك ابن عم أبي القاسم
أتيناك بعهدك مـــــن عنده على من يليك من العالم
يوليك فيه جسيـــــم الأمور فأنت نجيب بني هاشم

فالحدث في هذه الأبيات تولي سليمان بن حبيب بن المهلب [9] ولاية الأهواز ، فعمد الشاعر إلى تصوير الحدث بألفاظ قليلة معتمدا أسلوب التكرار للفعل (أتيناك) وحرف الجر (من) فجعل المتلقي في حالة انتباه بأن الحادثة قد وقعت ، فأخذ في تأملها

ومتابعة تفاصيلها مع الشاعر ، فضلا عن أسلوب النداء (يا قرم أهل العراق) ، الذي يعمد إلى شد انتباه المتلقي لمتابعة الحدث ، فجعل المتلقي يتحد مع الشاعر بالإحساس بأجواء النص وما يحمله من معاني الفرح لهذه الحادثة ، واصفا الممدوح بكل المحاسن المادية التي يتوق إلى سماعها ، من النجابة والشرف ، والرفعة ، وعلو الشأن ، وكرامة النسب ، فهو من سلالة بني هاشم .

وقد يعمد الشاعر إلى أسلوب التناص[10] في سرد وقائع الحدث البسيط كقوله [11] مادحاً الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام :

وأول مؤمن صلّى وزكـــى بخاتمـــــــه على رغم الكفور
وقد وجب الولاء له علينا بذلك في الجهار وفي الضمير
وأخبرنا الإله بما وقاهـــم ولقّاهم هناك مـــن الســـــرور
وأكرمهم لما صبروا جميعا بجنـــــات وألـــوان الحريـــر
فلا شمساً يرون ولاحميماً ولا غســـاق بيـــن الزمهريـــر

فالحدث هنا مدح الإمام علي عليه السلام لذا أخذ الشاعر بسرد صفات الممدوح مؤيداً تلك الصفات بتناص ثقافي متمثلا بما أورده الشاعر عن الممدوح من أخبار تاريخية ، فهو أول مؤمن ، وهو أول من تصدق بخاتمه وهو راكع [12] ، مؤكداً وجوب الولاء له بما أورده من طباق بين الجهر والسر، ولم يكتفِ بذلك في توضيحه لحدث المدح ، بل أكده مرة أخرى بما ورده من تناص قرآني يبين جزاءهم عند ربهم ، من آي الذكر الحكيم منها قوله تعالى : ((فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً))[13] ، وقوله تعالى ((وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا))[14] ، وقوله تعالى ((متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً))[15] . وبذلك استطاع الشاعر تصوير الحدث وصاحب الحدث (الممدوح) الذي شكل الشخصية الرئيسة في النص .

وقد يعمد الشاعر إلى سرد حادثة تاريخية واقعية ، بأبيات قليلة ، فيقدمها ضمن بنية شعرية متخيلة ، من ذلك ما قاله في حادثة اختباء الحية[16] في خف أمير المؤمنين قائلاً [17] :

كمّـــن في خــفّ الوصـــي سبسبها الراقـــي فيــه بالحيل
فأرســـل الله إليـــه ملكـــاً في صورة الطير الغداف المنحجل
فحلَّق الخــفّ وأحــدق الورى تراه في حجــر الغــداف معتقــل

حتى هواى من جوفه نضناضة تنضح سمّا باللعــاب المنســـدل

فالشاعر لم يعمد إلى ذكر وقائع الحدث وشرح تفاصيله ، وإنما اكتفى بسرد الحادثة على نحو موجز ، مستعيناً بأسلوب التشبيه (في صورة الطير الغداف المنحجل) فقد شبه ذلك الملاك بطائر ضخمٍ كأنه غراب كبير ، فضلا عن أسلوب الوصف لحركة تلك الحيَّة السريعة وهي تختبئ في خف الإمام ودخولها السريع إلى الجحر، ومن ثم وصفه لسمها المميت . أضف إلى ذلك حركة الملاك السريعة في الانقضاض على الخف والقائه وخروج الحية منه .إذْ وظف الشاعر ذلك كله في سبيل تصوير الحدث عن طريق الصورة الحركية التي تفصح عنها دلالة الأفعال في الأبيات لغرض أن يتطور الحدث حركياً عبرها .

ونراه في أبيات أخرى يسرد لنا حادثة بسيطة تتمثل بطيف محبوبة قائلاً[18] :

طاف الخيال علينا منك هنـــادا وهناً فاورثنا همــاً وتسهادا

أنى اهتديت لركب بين أوديـــة لم تستدلي ولم تستحقي زادا

يا أحسن الناس من قرن إلى قدم هام الفؤاد بكم بل طار أو كادا

ماهبت الريح لي من نحو أرضكم إلا تحيّر ماء العين أو جــادا

فسرد الشاعر ذلك الحادث البسيط بعبارات سهلة واصفاً تأثير ذلك الطيف فيه وما تركه في نفسه من الهم والسهر في تلك الليلة ، مستعملاً الأفعال الماضية والمضارعة ولاسيما الفعل (ورث) وكأنه قد جعل ذلك الهم والسهر وراثة له طوال حياته ، فجعل من النص لوحة ناطقة تنبض بالحياة والحركة بسبب ما تحمله تلك الأفعال من دلالات وحركة فضلاً عن ذلك أثر ذلك الحدث في شخصية النص وهو الشاعر الذي أحب تلك المرأة وهام بها وبجمالها ، فالشاعر هنا صور حادثة الطيف وما أثاره فيه من الهم والسهر والحزن ، ولكن بمنظوره الخاص ، محاولاً عبر عرضه هذا إقناع المتلقي أو القارئ والتأثير فيه .

ثانياً : الحدث التام

ونقصد به الحدث الذي يشتمل على حادث أو قصة كاملةٍ تعبر عن مسألة معينة أو فكرة معينة . وكثيراُ ما يلجا الشاعر إلى الأسلوب القصصي طلبا للتيسير ؛ لان " الحكاية أقرب إلى روح الشعب الذي يميل دوما إلى الحديث السردي والأسلوب القصصي "[19] . ونجد من صور الحدث التام في شعر السيد الحميري قوله في سرد حادثة الطائر المشوي[20] قائلاً [21] :

في قصة الطائر المشوي حين دعا ... محمـــــد ربه دعوات مبتهل
أدخل إليّ أحب الخلق كلهـــــــم ... طراً إليــك فمنه واجعلنه ولي
فجاء من بعده خير الــورى رجــل ... عليه يقرع باب البيت في مهل
فقال مختبراً من ذا لــه أنـــــس ... فقــال جاء علي جُدْ بفتحك لي
فقال ترجع ولا تصغر أبــا حســن ... فإن عنك رسول الله في شغل
فانحــاز غيــر بعيد ثــم أعطفــه ... دعا النبي فدق الباب في رسل
فقال أحمــد من هذا تحـــــاوره ... بالباب أدخله لا بوركت من رجل
فقــام مبتــدراً للبــاب يفتحــــه ... وحيــدر قائــم بالبــاب لم يزل
حتى إذا ما رأتــه عين أحمـــده ... حيّا وقرّبـــه تقريب محتفـــل
فقال ما بك قل لي يا أبـــا حسن ... اجلس فداك أبي يا مؤنسي فكل

يمكن للمتلقي أن يلحظ أثر ذلك الحدث التام (الطائر المشوي) في شخصيات النص ، ذلك النص الذي هو نسيج متماسك من الأفعال الماضية والمضارعة والأمر ، إذ استطاع الشاعر تحريك تلك الشخصيات بتأثير ذلك الحدث ، فجعلها تمارس دورها وتؤدي وظيفتها على نحو يوافق انفعالها ، وقد ساعد على ذلك حضور الأفعال التي تدل على حالة الترقب لما سيحدث في النهاية ، فضلا عن أسلوب الحوار بين شخصيات النص الذي دل عليه الفعل (قال) ، فأخذت مشاعر الترقب تتحرك لا إراديا على نحو تصاعدي يتوافق مع مقدار حجم الحدث ترقب / انتظار ، ثم النهاية بحضور المنتظر المتمثل بشخصية الإمام الذي سُر به رسول الله ﷺ فاستقبله فرحاً مبتهجاً بحضوره البهي .

وقد يعمد الشاعر إلى تصوير الحدث عن طريق التشخيص باستعمال أسلوب الحوار ولاسيما انه " من عناصر القصة والحكاية الأساسية وهو دليل الحركة المستمرة والحياة واستمرار الأحداث ...)[22] ، وفي هذه الحالة يكمن اثر الحوار في تنمية الحدث والكشف عن شخصية صاحبه وطريقة تفكيره ، أو أسلوب تعامله ، أو أفكاره التي يعبر عنها. من ذلك قول الشاعر في حادثة الغدير[23] قائلا[24]:

قام النبي يوم خم خاطبــاً ... بجانب الدوحــات أو حيالها
فقال من كنت له مولى فذا ... مولاه ربي اشهد مراراً قالها
قالوا سمعنا واطعنا كلنــا ... وأسرعوا بالأَلسـن اشتغالها
وجأءهم مشيخة يقدمهــم ... شيخ يهني حيـــدراً مثالها
ياعجباً وللزمان عجـــب ... يلقى ذوو الفكــر به ضلالها

ان رجالاً بايعته إنمـــــــا بايعت الله فمـــا بدا لها
وكيف لم يشهد رجال عندما أشهد في خطبتــه رجالها
وناشد الشيخ فقال إننـــي كبرت حتى لم أجد أمثالها
فقال والكاذب يرمى بالتي ليس توارى عمّــة تنالها

فاعتمد الشاعر على حادثة تاريخية واقعية ، فقدمها للمتلقي ضمن بنية شعرية ، ساعده في ذلك أدواته ولاسيما الخيال ، فعبره استطاع الشاعر أن يعيش الحدث ويتجاوب معه ويتجاذب ، مما أضفى على أبياته الصدق الفني في سرده للحادثة ، فضلا عن الحوار الخطابي المباشر في نصه بين الشخصية الرئيسة والتي تشكل محور الحدث ، وشخصيات النص الأخرى التي أخذت بتصعيد الحدث ، بما كانت تحمله من مشاعر الكذب والخداع والنفاق ، فاستطاع الشاعر أن يكشف عن السمات والصفات المتباينة للتك الشخصيات .

وقد يلجا الشاعر في تصويره للحدث التام إلى أسلوب الوصف كما هو الحال في قوله واصفاً شجرة طوبى[25].

وقال طوبى أيكـــة ظلّها صاح ظليل ذات أغصـــان
أغصانها ناعمة جمّـــة من ذهب أحمر عقيـــان
وحملها من عبقر مونــق صاف وياقوت ومرجـــان
لها جنى من كل ما يشتهى من فاقع أصفر أو قـــان
تنشقُّ أكمام لها عن كسى من حلل تبرق ألوان (كذا)
من سندس منها وإستبرق ومن ضروب الثمــر الآني
وأصلها من أمة المصطفى أحمد في منزل إنســـان
فقلت من؟ قال: علي. وما من منزل نـــاء ولا دان
لمؤمـــن إلاّ ومنها بــه غصن ومنها ما بــه اثنان

فالشاعر اعتمد فكرة الحدث هنا عبر التناص القرآني المتمثل في قوله تعالى : ((الَّذِينَ امَنُواْ وعَمِلُوا الصَّلِحاتِ طُوبَى لَهُـم وَحُسنُ مَاب))[26] . أما صورة الحدث فاستمدها من التناص الثقافي المتمثل بما أثر عن الرسول ﷺ عندما سئل عن قوله تعالى بما تقدم من آية ، فقال : هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة[27]، ثم استعان الشاعر بما أوتي من قدرة شعرية وثقافة أدبية لرسم صورة ذلك الحدث عبر

الصورة التجريدية التي ترتبط بالمعاني الذهنية العقلية ، فهذه الشجرة لم تترك بالعين المجردة لذا لجاء الشاعر لتلك الصور الذهنية لتصوير الحدث عبر سرده لأوصاف الشجرة ، فضلا عن ذلك فإن الشاعر قد وظف أسلوب المعالجة السردية السريعة أيضاً في تصوير الحدث ، ولاسيما الحوار الذي يُعد من أهم عناصره ، فعمد الشاعر إلى إجراء الحوار بين شخصيات الحدث بدلالة الأفعال (قال ، فقلت) ، أضف إلى ذلك الدلالة اللونية التي استعملها الشاعر في وصفه للحدث المتمثلة في الألفاظ (أحمر ، وصاف ، وفاقع أصفر ، وقان ، وتبرق) فكان الشاعر موفقاً في شد انتباه المتلقي للوصول إلى نهاية الحدث ، ولاسيما أن الوصف يُعد تقنية زمانية تعمل على الإبطاء المفرط لحركة السرد في النص الأدبي .

وقد يعتمد الشاعر أسلوب الحكاية القصصية التأريخية في سرد الحدث التام ، وهذا واضح عنده في نصين : الأول في قوله ذاكراً قصة نبي الله صالح عليه السلام قائلاً[28] :

بعث الإله إلى ثمودٍ صالحـــاً ... منه بنور سلامة لا يشكـــل
قالوا له اخرج لنا من صخـرة ... عشراء نحلبها إذا ما ننـــزل
فتصدعت عن ناقة فتنـــوا بها ... وقضاء ربك ليس عنه مرحـل
لما رأوها حافلاً حفّـــوا بها ... ودعوا بأوعية وقالوا احملـوا
حتى عتوا وتمردوا وسطوا بها ... بطراً فأسرع في شواها المنصل
خضبوا فراسنها بقانٍ معجـــل ... فرغا هنالك بكرها فاستؤصلـوا
قبل الصباح بصيحة أخذتهـــم ... بعد الرقاد سرى إليهم منهـــل

فالحدث هنا مستمد من القرآن الكريم[29]، استطاع الشاعر عبر حوار الشخصيات، والزمان ، والمكان ، وما ينتج عن ذلك من صراع تطوير الحدث ودفعه إلى الأمام ، فضلا عن تقنية المشهد وإن كانت من تقنيات العمل الروائي إلا أن الشاعر نجح فيها ، إذ استطاع عرض تفاصيل الحدث بشكل تفصيلي تتابعي ، مباشر وصولاً إلى النهاية .

أمَّا نصه الآخر فقوله في قصة الجائع قائلاً[30] : ــ

قائل للنبـــي إنـــي غريـــب ... جائع قد أتيتكم مستجيـــرا
فبكى المصطفى وقال : غريب ؟ ... لا يكن للغريب عندي ذكورا
من يضيف الغريب ؟ قال علي : ... أنا للضيف . انطلق مأجورا
ابنة العم عندنا شيء من الـــزا ... د؟ فقالت : أراه شيئاً يسيرا
كفُّ برٍّ . قال : اصنعيـــه فإن ... الله قد يجعل القليل كثيـــرا

ثم اطفئي المصباح كي لا يراني فاخلّي طعامه موفـــورا
جاهد يلحظ الأصابع والضيـــــــــــــــف يراه إلي الطعام مشيرا
عجبت منكم ملائكة اللـــــــــــــــه وأرضيتم اللطيف الخبيــرا
ولهم قال يؤثرون على أنـــــــــــــــفسهم قال ذاك فضلاً كبيــرا

فكان الحدث حكاية انمازت بالصدق والبساطة وسلاسة اللفظ : فضلا عن إن الربط بين أحداثها كان منطقياً سليماً ، وقد ورد كل ذلك ضمن أوزان وموسيقى شعرية خفيفة [31]مستعملاً الشاعر تقنية الحوار وان كان من تقنيات المسرح ، إلا أن الشاعر جاء به في نصه محاولاً تحقيق "طموحات فنية تضفي نبرة وجود أكثر من صوت ، أو أكثر من شخصية " [32] ، فحاول الشاعر عبر المحاورة ، بين الغريب ، والنبي ﷺ، والإمام علي وزوجه (سلام الله عليهما)،أن ينقل للمتلقي الحادثة التي تجسدت على نحو (قائل ، قال ، فقالت ...) ، فاستطاع الشاعر عبر الحوار المتولد من أفعال القول فرض مساحة سردية ، ساعدت الشاعر على أن يسترسل في ذكر تفاصيل الحادث ، موظفاً مجموعة من الأساليب ؛ لتعزيز بنية النص وجمال أسلوبه الحواري ، من ذلك أسلوب الاستفهام في قوله : (من يضيف الغريب ؟...) ، وقوله (ابنة العم عندنا شيء من الزاد؟ ...) فضلا عن أسلوب التقسيم في البيت الأول (غريب ، جائع ، أتيتكم ، مستجيرا) ، وأسلوب الطباق في (قليل / كثير) و(يسير / موفور) وأسلوب التعجب في البيت الثامن ، فقد وظف الشاعر هذا كله ليجعل لغة النص تمارس حضوراً حكائيًّاً بطريقة الوصف الحقيقي للحدث ، في إطار مشهديّ تناوبت فيه الشخصيات الأدوار والوظيفة ، وصولاً إلى نهاية الحدث .

ثالثاً : الحدث المركب

هو الحدث الذي يكون وقوعه داخل نسيج النص على نحو غير متصل ، إذ تفصل بين مكوناته ودلالاته أحداثُ ثانويّةٌ يجمعها رابط مشترك مع الحدث الرئيس[33] ، يأتي بها الشاعر (المبدع) ليظهر صورة الحدث الرئيس للمتلقي في النص ، عبر استعماله لعدد من آليات الأسلوب . ويمكن أن نلحظ توافر هذا النوع من الحدث في أكثر من نص لدى الشاعراخترنا منها قصيدة مدح فيها أمير المؤمنين وتسمى المذهبة قال فيها[34] :

هلاّ وقفت على المكان المعشب بين الطوابع فاللوى من كبكب
فنجاد تُوضِح فالنضائد فالشظا فرياض سنحة فالنقا من جونب

طال الثواء على منازل اقفرت من بعد هند والرباب وزينب

ابتدأ الشاعر القصيدة بمقدمة طللية وغرضه في ذلك جذب انتباه المتلقي " ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ... وليسترعي به إصغاء الأسماع إليه "[35] ، فضلا عن ذلك ان حدث القصيدة الرئيس حدث مهم لذا عمد الشاعر إلى أن يجتهد في الابتداء ليكسب ويضمن حسن الاستماع إليه ، إذ كلما كان الابتداء حسناً بديعاً مليحا كان داعية للأسماع لما بعده[36] . بعد ذلك انتقل إلى قوله[37] :

أين التطرّب بالولاء وبالهـــوى أإلى الكواذب من بروق الخلـــب
أإلى أمية أم إلى شيـــع التـــي جاءت على الجمل الخِدَبّ الشوقب
تهوى من البلد الحرام فنبَّهـــت بعد الهدوّ كلاب أهل الحـــــوأب
يحدو الزبير بها وطلحة عسكراً ياللرجال لرأي أم مشجـــــــب

...

فالشاعر في هذه الأبيات تطرق إلى حادثة الجمل سارداً وواصفاً جزءاً من أحداثها . وفي كل ذلك تمهيد للدخول إلى الغرض والحدث الأهم والرئيس وهو مدح أمير المؤمنين ، وقد أحسن الشاعر في ذلك ، إذ إن " الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص " [38] فالشاعر بعد أن وقف واستوقف ، وهجا ، أخذا بسرد أحداث ثانويَّة لها علاقة بالحدث الرئيس قائلا [39]:

خير البرية بعد أحمد من له مني الهوى وإلى بنيه تطرُّبي
أمسي وأصبح معصماً مني له بهوى وحبل ولاية لم يقصب
رُدّت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوىَّ الكواكب
وعليه قد حُبست ببابل مرة أخرى وما حبست لخلق مغرب

ففي هذه الأبيات سرد لنا الشاعر حادثتين تبين لنا إحدى معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعض مناقب الإمام ومكانته ، الأولى حادثة رد الشمس أو وقوف سيرها في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم[40]، والثانية[41] في زمن الإمام علي عليه السلام ، موظفاً أسلوب التناص الثقافي المتمثل بما لديه من مقدرة أدبية عن طريق تعالق نصه مع نصوص أدبية أخرى ، وهذا واضح في قوله (خير البرية بعد ...) ، إذ نجد التقارب في المعنى مع قول الكميت : (طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ...) [42] ، فضلاً عن استعماله لأسلوب الطباق بين (أمسي/ أصبح) . ويستمر الشاعر بسرد الحدث المركب قائلاً [43]:

ولقد سرى فيما يسير بليلـــــة بعد العشاء بكربلا في موكـــــب
حتى أتى متبتِّلا في قائـــــمٍ ألقى قواعده بقاع مجـــــــــدب
تأتيه ليس بحيث تلقى عامراً غير الوحوش وغير أصلع أشيب
في مدمج زلق أشمّ كأنـــــــه حلقوم أبيض ضيّق مستصعـــــب
فدنا فصاح به فأشرف مائـــلا كالنسر فوق شظيّة من مرقـــــب
هل قرب قائمك الذي بُوَّئتـــــه ماء يصاب فقال ما من مشـــرب
إلا بغاية فرسخين ومن لنـــــا بالماء بين نقاً وقِيّ سبســـــــب
فثنى الأعنة نحو وعث فاجتلى ملساء تبرق كاللجين المذهـــــب
قال اقلبوها انكم إن تقلبـــــوا تُرْووا ولا تروون ان لم تُقلـــب
فاعصَوْ صبوا في قلعها فتمنعت منهم تمنَّع صعبة لم تركـــــــب
حتى إذا اعيتهم أهـــــوى لها كفاً متى ترد المغالب تغلـــــب
فكأنها كرة بكف حـــــــــزوّرٍ عبل الذراع رحابها في ملعـــــب
فسقاهم من تحتها متسلســـــلا عذباً يزيد على الأَلذّ الأعـــــذب

فالشاعر هنا سرد لنا حادثاً ثانوياً[44] مرتبطاً بالحدث الرئيس (المدح) بطريقة السرد التفصيلي مستعملاً عدداً من الأساليب منها أسلوب بلاغي في رسم بعض الصور ومنها صورة صومعة الراهب حين شبهها بصورة طائر الماء في تحليقه بعيداً عن الأرض ، ووجه الشبه في ذلك البعد والصعوبة في الوصول إلى الصومعة . وارتبطت بهذه الصورة التشبيهية صورة أخرى وهي صورة الراهب إذ شبهه الشاعر بالنسر لكبر سنه ، أضف إلى ذلك صورة الصخرة التي شبهها مرتين الأولى حين شبهها بالفضة المذهبة في بريقها ،والثانية حين شبهها بالكرة بيد غلام قوي غليظ ممتلئ ، وهو بذلك يشير إلى الصفات الجسمية التي انماز بها . ولم يكتفِ بذلك فنراه قد استعمل المحسنات اللفظية ولاسيما الجناس بين الألفاظ (اقلبوها، تقلبوا، تقلب) والألفاظ (تروووا، تروون)، فضلا عن أسلوب الحوار لكونه يشكل نافذة يلج عبرها الشعر من الذاتية المطلقة إلى الموضوعيّة ؛ ولما يتمتع به من أساليب تلائم التعبير عن الأفكار في القصيدة [45]. ويستمر الشاعر بسرده للحدث المركب عامداً إلى أسلوب الاختصاص لتعين المخصوص بكل ما تقدم وما سيذكر من حوادث وصفات ومناقب ، بقوله[46] :

أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل في فضله وفعاله لم يكذب

ويأخذ بالاستطراد بسرده لعدد من الحوادث قائلاً[47] :

سيّان فيه عليه غير مذمـــم ... ممشاه ان جنباً وان لم يجنب
وسرى بمكة حين بات مبيتــه ... ومضى بروعه خائف مترقب
خير البرية هارباً من شــرها ... بالليل مكتتماً ولم يستصحــب
باتوا وبات على الفراش ملفَّعاً ... فيرون أن محمداً لم يذهـــب

...

قالوا اطلبوه فوجهوا من راكب ... في مبتغاه وطالب لم يركـــــب
حتى إذا قصدوا لباب مغـــاره ... ألفوا عليه نسيج غزل العنكــب

...

وله بخيبــر إذ دعــاه لرايـــة ... ردت عليه هناك أكرم منقـــــب
إذ جاء حاملها فأقبل متعبـــاً ... يهوي بها العدويّ أو كالمتعـــب

...

فمشى بها قبل اليهود مصممــا ... يرجو الشهادة لا كمشي الانكــب
تهتز في يمنى يدي متعـــرض ... للموت أروع في الكريهة محرب

...

وبني قريضة يوم فرّق جمعهم ... من هاربين وما لهم من مهرب

...

وبخم إذ قال الاله بعزمه ... قم يامحمد بالولاية فاخطب
وانصب أبا حسن لقومك إنه ... هادٍ وما بلّغت إن لم تنصب

...

فقد سرد لنا الشاعر عددا من الحوادث التاريخية معتمدا أسلوب التناص فيما أورده من وقائع تاريخية متسلسلة تخص الممدوح ، بمعنى أنها تصب في خدمة الحدث الرئيس في القصيدة ، (الحدث المركب) وهو مدح شخصية أمير المؤمنين ، وقد تميزت القصيدة بأنها جاءت على النمط الجاهلي ، من مقدمة ، بعدها غرض رئيس ، ومن ثم الخاتمة ، التي وضح فيها الشاعر حبه وانتماءه وعقيدته ومذهبه ، في تمسكه وحبه لآل البيت ولاسيما الممدوح ، إذ عمد إلى إظهار فضائله بألفاظ تميزت بالقوة والجزالة ، مستمداً قوتها من مكانة الممدوح ، التي تضفي عليها القوة والرصانة ، وتكسبها رونقاً وجمالاً " وسبيل الشاعر إذا مدح ملكا ، أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة ، بذكر الممدوح ، وان

يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية ، غير مبتذلة سوقية "[48] ، ومعنى أنها جاءت على وفق النمط الجاهلي في بنائها أي أن القصيدة توافر فيها عناصر السرد القصصي من فكرة وحدث وزمان ومكان وحضور للشخصيات والحوار [49] ، فالحدث جاء مركباً من عدد الوقائع والمواقف التي عمد فيها الشاعر إلى الإيجاز والتكثيف بسبب ضيق المساحة في النص الشعري ، والزمن فيها انقسم بين زمن تأريخي ، وزمن نفسي ، وطالما وجد الزمان فإن المكان موجود ، إذ " غالباً ما يفترض وجود أحدهما وجود الآخر بل إننا في الشعر لا نجدهما إلا متلازمين "[50]، فضلا عن ذلك حضور الشخصيّات ، متمثلة بالشخصيّة الرئيسة ، والشخصيّات الثانوية ، وما ارتبط بينهم من حوار دفع بالحدث إلى التطور داخل النص .

نتائج البحث

وفيما تقدم تبين أن شعر السيد الحميري غلب عليه الطابع القصصي (السردي) وهذا بدوره أدى إلى توافر الحدث عنده بشكل واضح ولاسيما إن الحدث أحد عناصر العمل السردي ، لذا جاء الحدث عنده في ثلاثة أنواع وهي : -

1- الحدث البسيط : الذي لم يطل الشاعر وقوفه عنده ، بل اكتفى بالإشارة إليه بأبيات قليلة من دون تفصيل .

2 – الحدث التام : هو فكرة تامة ، تحمل مضموناً معيناً ، استطاع الشاعر التعبير عنها وإظهارها عبر الألفاظ التي جاءت بصور مختلفة منها ما كان مكثفاً ، ومنها ما كان واضحاً قريباً ، بحسب موضوع الحدث .

3 – الحدث المركب : انماز بسرد مجموعة من الأفكار والأحداث الثانويَّة تصب في خدمة الحدث الرئيس الذي يرمي إليه الشاعر ، وهذا وقد أطال الشاعر الوقوف عنده في شرحه وتفصيله .

وفي كل ما تقدم من أنواع الحدث نجح الشاعر في تصويرها بإشكالها المختلفة ، مستعملاً في ذلك موهبته الشعرية ، والثقافية ، في استعماله لفنون البلاغة أو أساليب البلاغة ، أضف إلي ذلك قدرته الشعرية في وصف الحدث ، والتجاوب معه وربطه بين أجزاء العمل ، مستمداً كل ذلك من إيمانه وتجاوبه بفكرة النص (الحدث) ، وهو في ذلك يعبر عن مذهبه وانتمائه العقائدي .

الهوامش

1- دراسات في النقد الأدبي : 59 . وينظر: دراسات في نقد الرواية : 28 و البناء الفني لرواية الحرب في العراق : 17 .
2- فن القصة : د.محمد يوسف نجم ، 145 .
3- السرد القصصي في الشعر الجاهلي : حاكم حبيب ، 46
4- ينظر : خمسة مداخل إلى النقد الأدبي : 232 .
5- مدخل إلى تحليل النص الأدبي : 45 .
6 - إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، يكنى بابي هاشم ، وقيل ابو عامر ، لقب بالسيد لذكائه وفطنته ، ولد سنة (105هـ) في عمان ، نشأ في البصرة ، يُعد من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا جزاً من حياتهم في العصر الأموي ، والجزء الآخر في العصر العباسي ، عرف عنه حبه للآلي البيت ، ودفاعه عن عقيدتهم وحقهم ، توفي سنة (173هـ) . ينظر : طبقات الشعراء : 32 ، والشعر والشعراء : 229 ،و الأغاني : 167/7 ، وفوات الوفيات : 33/1 ، وأخبار السيد الحميري : 102 ،و الوافي بالوفيات : 118 ، والأعلام : 351/5 ،و أعيان الشيعة : 3 /405 .
7- ينظر : البنية القصصية في الشعر الأموي : 41 .
8- الديوان : 396 ، القرم : السيد .
9- سليمان بن حبيب بن المهلب : والي الأهواز في عهد أبا العباس السفاح ، ينظر المصدر السابق : 395 .
10- هو التعالق أي الدخول في علاقة ،بين نص أدبي ونصوص أخرى مختلفة . ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص : 121.
11- الديوان : 240 .
12- ينظر الحادثة المصدر السابق : 56 .
13 - سورة الدهر : 11 .
14 - سورة الدهر : 12 .
15 - سورة الدهر : 13 .
16 - ينظر الحادثة في الديوان : 125 - 126 .
17- الديوان : 350 . الغداف : غراب كبير ، (المنحجل) من حجل الغراب : نزا في مشيه ، النضناضة : حية لا تستقر في مكان وإذا نهشت قتلت من ساعتها ، المنسدل: المرسل .
18 - الديوان : 158 ، هند : قصر في الأمر ، هنّد : كذب ، هندنه المرأة : أورثته عشقاً بالملاطفة ، الوهن : نصف الليل أو بعد ساعة منه ، استحقب : ادّخر وشد زاده في مؤخر رحله ، القرن : ذؤابة المرأة وخصلة الشعر ، تحيرّ : وقف في العين وهي مطفحة به لا يجري .
19- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري : .247
20- ينظر الحادثة في المصدر السابق : 69 - 70 .
21 - المصدر السابق : 341 .
22 - ينظر الحادثة في المصدر السابق : 111 - 112 .
23- القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي : 42 .
24 - المصدر السابق : 329 - 332 .
25 - المصدر السابق : 448 ، العقيان : الذهب الخالص ، عبقر :قرية في اليمن توشى فيها الثياب والبسط ثم توسعوا في معانيها فصارت صفة لكل ما بولغ في وصفه ، السندس : ما رق من الديباج ، الإستبرق :ما ثخن من الديباج ، الآني : الناضج في وقته .
26 - سورة الرعد : 26 .
27 - ينظر الديوان : 175 - 176 .
28 - المصدر السابق : 302 - 304 .

29 – سورة الأعراف : 74 – 79 .
30 – الديوان : 226 – 227 .
31 – القصة والحكاية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي : 266.
32 – آليات السرد ، د. عبد الهلال ناصر : 160 .
33 – أسس النقد الأدبي عند العرب : 2/ 24 .
34 – الديوان : 83 – 84، الطوابع : ماء ، اللوى : رمل ملتو ، كبكب : جبل في عرفات ، النجاد ، ما اشرف من الأرض ، توضح : مكان ، النضائد : النضاد : جبل وقد قصد الشاعر الجبال التي فيها حجارة منضدة ، الشظا : وادٍ ، سنحة : موضع ، النقا : قطعة رمل محدوبة ، جونب : موضع .
35 – الشعر والشعراء : 1/ 20 .
36 – كتاب الصناعتين : 404 .
37 – الديوان : 85 ، الخِدَبّ : الضخم ، الشوقب : الطويل ، عسكر : اسم جمل .
38 – الوساطة : 47 .
39 – الديوان : 86 ، معصماً : متمسكاً ، يقصب : يقطع .
40 – ينظر : تفاصيل الحادث في الديوان : 87 .
41 – ينظر : تفاصيل الحادث في الديوان : 89 .
42 – ينظر : شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي: 18 .
43 – الديوان : 90 – 92 ، المتبتل : الراهب ، القائم : صومعة الراهب ، الاصلع الأشيب : المراد به الراهب، والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس ، المدمج : الشيء المستور والمراد به صومعة الراهب ، الزلق : الذي لا تثبت عليه قدم ، الاشم : الطويل المشرف ، الأبيض : طائر كبير من طيور الماء ، ضيق مستصعب : صفتان لمدمج ، المائل : المنتصب ، الشظية : قطعة من الجبل منفردة ، المرقب : المكان العالي ، النقا : قطعة من الرمل محدودبة ، القِيَّ : القفر أو الصحراء الواسعة ، السبسب : الأرض القفر ، الوعث : المكان اللين الذي تغيب فيه اخفاف الإبل، اجتلى: نظر الى صخرة ملساء ، اعصو صبوا : اجتمعوا وصاروا عصبة ، الحزوّر : الغلام القوي ، العبل : الغليظ الممتلىء .
44 – ينظر : تفاصيل الحادث في الديوان : 90 .
45 – ينظر: الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) : 294 .
46 – الديوان : 92 .
47 – المصدر السابق: 93 – 113 ، الروعة : الفزعة ، الترقب : الانتظار ، الانكب: المنحرف ، المحرب : الحسن البلاء في الحرب .
48 – العمدة : 2/ 128 .
49 – ينظر : الشعر والأداء القصصي ، باسم عبد الله : 180 ، والقصة في الأدب العربي القديم ، عبد الملك مرتاض : 68 .
50 – اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد رضا مبارك ، 72 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، دار الميسرة ، بيروت ، (د ، ت)
- أخبار السيد الحميري : أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ) ، تح : د. محمد هادي الأميني ، شركة الكتبي للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1993م.

- الأعلام : خير الدين الزر كلي ، مطبعة كوستا توماس ، القاهرة ، 1959 .
- أعيان الشيعة : الإمام السيد محسن العاملي ، تح : حسن أمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1986م .
- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 ه-) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 1994م ، ط1 .
- آليات السرد في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد الهلال ناصر ، القاهرة ، ط1 ، 2006 م.
- أسس النقد الأدبي عند العرب : د . أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، 1996 م .
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، د. عبد الله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988م ، ط1 .
- تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص : د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1985م .
- خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، سكويت ستيوارت ، تر : د. عناد غزوان ، وجعفر صادق الخليلي ، بغداد ، 1981م .
- ديوان السيد الحميري ، تح : شاكر هادي شكر، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت،(د.ت).
- دراسات في النقد الأدبي : د.أحمد كمال زكي ، دار الأندلس ، 1980 م .
- دراسات في نقد الرواية : طه إبراهيم وادي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط3 ، 1994م .
- السرد القصصي في الشعر الجاهلي ،د. حاكم حبيب ، دار الكتب والوثائق ، العراق ، بغداد ، 2009م .
- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي : تح: د. داود سلوم ، ود. نوري القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، ط1 ، 1984م .
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة الدنيوري (ت 276ه-) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البيجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، 2006م ، ط1 .
- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، (د – ت) .
- كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري (ت 395ه-) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2006م ، ط1 .
- طبقات الشعراء : ابن المعتز (ت 298ه-) ، عبد الستار احمد فراج ، ود. فائز العرب ، دار المعارف ، مصر ، 1956م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني (ت 456ه-) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، 1972م ، ط4 .

- فن القصة : د.محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) .
- فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي (ت 764ه–) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ، 1951م .
- القصة في الأدب العربي القديم ، عبد الملك مرتاض ، دار مكتبة الجزائر ، 1968م .
- القصة والحكاية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي : 266 ، د. بشرى محمد علي الخطيب ، وزارة ، الثقافة والأعلام ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، 1990م .
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، د. محمد رضا مبارك ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، 1993م .
- مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القادر أبو شريفة ، وحسين لافي قزق ، دار الفكر ، عمان ، ط4 ، 2008م .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين الصفدي ، س. ديدرينغ ،دمشق ،المطبعة الهاشمية ، 1959م .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392 ه––) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار أحياء الكتب العربية ، 1951م ، ط3 .

الدوريات :

- الشعر والأداء القصصي ، باسم عبد الحميد حمودي ، بحوث الحلقة الدراسية مهرجان المربد الشعري الحادي عشر (10 – 11) ، 1992م .

الأطاريح والرسائل :

- البنية القصصية في الشعر الأموي ، أطروحة دكتوراه ، محمد سعيد مرعى ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، إشراف : د. سمير علي سمير ، 1996م .

Abstract

poetry is distinguished by specific characteristics and expressionistic techniques .in spite of it's depending on meter and rhyme but it borrowed some of its characteristics from narrative like the event , which represents the main basis in narrative .the poets are always focusing on the philosophy of event itself. Accordingly , they portrayed the event for the percipient more that transformed it .the poet AlSaeed Al_Hamari (173 A.H)dealt with portraying the event and transformation . he was one of Al magathrm poet(lived in Umayyad and Abbasid ages) . His poetry is characterized by narrative type .the study entitled the Event in the poetry of AlSeed Al-Hamari . It studies the event in his poetry which is divided into three kinds: simple event, perfect event and compounded event . the paper explains these three kinds and expresses the poets means in tackling the event and the important methods, pictures, and tools which are used by the poet.